Al-Daleel

The Problem of Evils between Science and Religion

Saad Al-Ghurry
PhD in Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Iraq . E-mail : s.alghorri@aldaleel-inst.com

Summary

The contemplation of this amazing universe creates a question for pondering man about the creativity of this organized universe, which science cannot fully comprehend despite its development. However, some doubts may arise in man's mind, including the doubt of evil. Some people try to deny the existence of the Creator through this doubt, as well as to doubt some of the attributes of the Creator, such as knowledge, power, will, and benevolence. In this article, we try to study the roots of this question and discuss the claims from two perspectives: first, experimental sciences and, second, the teachings of the Islamic religion. The religious texts (the Qur'an and the Sunnah) provide clear solutions to refute this doubt. In this article, the analytical descriptive method was followed to explain the views of scientists about experimental sciences and religious texts, and then analyze them. The article tries to prove the claim in a demonstrative manner and to conclude that this doubt is too old and that scientific and religious replies have been sufficient to refute it with conclusive arguments.

Keywords: evils, the kinds of evils, science, religion.

Al-Daleel, 2023, Vol . 6, No . 1, PP .138-168

Received: 20/02/2023; Accepted: 22/03/2023

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

©the author(s)

Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

إشكاليّة الشرور بين العلم والدين

سعد الغري
دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق. البريد الإلكتروني: s.alghorri@aldaleel-inst.com

الخلاصة

يخلق النظر إلى هذا الكون العجيب تساؤلًا عند المتأمّل في وجود إبداعٍ لهذا الكون المنظّم التي يعجز العلم عن الإحاطة بكلّ أجزاء النظام فيه رغم تطوّره، ولكنّ الإنسان قد تطرأ عنده بعض الشبهات، ومنها شبهة الشرور؛ إذ يحاول بعضهم عن طريق هذه الشبهة نفي أصل وجود الخالق، وكذلك التشكيك في بعض صفات الخالق كالعلم والقدرة والإرادة والخيريّة، ونحاول في هذه المقالة دراسة جذور هذه المسألة، ومناقشة الدعاوى من لحاظين، الأوّل العلوم التجريبيّة، والثاني من خلال بيان تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وما ورد بهذا الخصوص في النصوص الدينية (القرآن والسنّة الشريفة) من حلول التي يمكن تقديمها لدفع هذه الشبهة، واعتمدت في تقصّي هذه المشكلة المعرفية المنهج الوصفي التحليلي، من خلال بيان وجهات نظر العلماء في العلوم التجريبيّة والنصوص الدينية، ومن ثمّ تحليلها، وقد حاولت إثبات المدّعى بصورة برهانية، وتوصّلنا إلى أنّ هذه الشبهة قديمة والإجابات العلمية والدينية كفيلة بدحضها وإبطالها بالأدلّة اليقينية.

الكلمات المفتاحية: الشرور، أقسام الشرّ، العلم، الدين.

مجلة الدليل، 2023، السنة السادسة، العدد الأول، ص. 138 - 168
استلام: 2023/02/20، القبول: 2023/03/22
الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلف
CC BY NC

المطلب الأوّل: مباحث تمهيدية

قبل الولوج في أصل البحث وتحديد محلّ النزاع لا بدّ من الإشارة الى بيان المصطلحات الأساسية فيه؛ إذ إنّ بعض المفاهيم تحتاج إلى توضيحٍ لبيان حقيقتها، وبيان وجه تمايزها عن غيرها من الحقائق، ومنها ما هو واضح لا يحتاج إلى تعريف، وإنّما يحتاج شرح الاسم والمفهوم الذي وقع موردًا للبحث.

1- تعريف الشرّ

أ- **الشر في اللغة**: ذكر علماء اللغة تعاريف عديدةً لمفهوم الشرّ، منها ما ذكره الجوهري في الصحاح فقال: «الشرّ نقيضُ الخير» [الجوهري، الصحاح، ج 2، ص 259]، وجاء في المِصباح: «الشرّ هو السوء والفساد والظلم، والجمع (شرور)» [الفيومي، المصباح المنير، ج 1، ص 309].

واستعمل في القرآن الكريم بمعناه اللغوي نفسه، أي نقيض الخير، وربّما استعمل في بعض مصاديقه من السوء والفساد والظلم [انظر: الطريحي مجمع البحرين، ج 3، ص 344]. وقال الراغب: «الشَّرُّ: الذي يرغب عنه الكلّ، كما أنّ الخير هو الذي يرغب فيه الكلّ، قال تعالى: ﴿شَرٌّ مَكَانًا﴾ [سورة يوسف: 77]، و﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ﴾ [سورة الأنفال: 22] ... ورجل شَرٌّ وشِرِّيرٌ: متعاطٍ للشرّ، وقومٌ أَشْرَارٌ، وقد أَشْرَرْتُه: نسبته إلى الشرّ، وقيل: أَشْرَرْتُ كذا: أظهرته» [الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 448].

ب- **الشرّ في الاصطلاح**: ذهب أغلب الحكماء إلى أنّ الشرّ أمرٌ عدميٌّ، ومنهم من أشار إلى أنّه معنًى نسبيٌّ، ومنهم من عرّفه بالنقص والجهل وغيرها، قال ابن سينا: «واعلم أنّ الشرّ يُقال على وجوهٍ: فيقال: شرٌّ لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة، ويقال شرٌّ لما هو مثل الألم والغمّ الذي يكون هناك إدراكًا ما بسببٍ، لا فقد سببٍ فقط» [ابن سينا، إلهيات الشفاء، ص 415].

وكذا عرّفه عند تعريفه للخير، فقال: «فالخير بالجملة هو ما يتشوّقه كلّ شيء في حدّه ويتمّ به وجوده، والشرّ لا ذات له، بل هو إما عدم جوهر، أو عدم صلاح لحال الجوهر» [ابن سينا، إلهيات الشفاء، ص 355].

وقال الميرداماد في تعريف الشرّ: «إنّ الخير هو ما يتشوّقه كلّ شيء ويبتغيه ويتوخّاه، ويتمّ به قسط كماله في رتبته وطبقته من الوجود ... فاذن، الشرّ لا ذات له، بل إنّما هو عدم ذات أو عدم كمال ذات أو عدم كمالٍ ما لذات. وحيثما ليس عدم الذات، ولا عدم كمال ما من

كمالات تتشوّقها الذات، فمن على جبلّة العقل وفطرة الإنسانيّة لا يتوهّم هناك شرّيّة أصلًا، فالوجود كلّه خير، والشرّ كلّه عدم» [الميرداماد، القبسات، ص 428].

2- بيان الشبهة

يثبت الموحّدون والمعتقدون بوجود خالق لهذا الكون أنّ هذا الخالق له قدرة مطلقة وعلم مطلق وخيرية مطلقة، ومقتضى ذلك أنّه خلق العالم على أحسن نظام ممكن، وأفضل صورة ممكنة له، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى يوجد - كما هي الدعوى - في الخارج شرٌّ، كالنقص الحاصل في بعض الأمور والتشوّه الخلقي عند بعض الأطفال، وكالزلازل والبراكين والحروب و... وهنا انقسمت المواقف الفكرية والاعتقادية تجاه مسألة الشرّ إلى قسمين أساسيين:

القسم الأوّل: المنكرون لوجود الخالق الذين استندوا على هذه الشرور الموجودة في العالم لنفي الإله، وقالوا إنّه من حيث التصوّر العقلي يمكن أن يوجد العالم بصورةٍ ونظامٍ أفضل ممّا هو عليه فعلًا، وذلك بتصوّره من دون شرٍّ، وحاولوا من خلال هذا الفرض تعضيد معتقدهم في إنكار الخالق، وإيجاد الشبهات على أصل وجوده، أو ردّ ما يدّعيه الموحّدون من صفات لهذا الخالق وكونها صفاتٍ مطلقةً غير محدودة.

القسم الثاني: من لديه رؤية كونية إلهية واعتقاد بالصفات الكاملة للخالق، والتي آمن بها عن طريق الدليل والبرهان العقلي، ويعتقد بأنّ للخالق قدرةً مطلقةً وعلمًا مطلقًا وأنّه مريد للخير لعباده. ويستدلّ على ذلك بأدلّة عقلية على إثبات هذه الصفات للخالق وعدم تأثير الشرور في إثبات أصل وجوده.

لقد أصبحت مشكلة وجود الشرّ في العالم عند بعض المفكّرين مشكلة عويصة من الصعب حلّها، يقول الفيلسوف الأمريكي رونالد ناش (Ronald Nash): «الاعتراضات على الإيمان بالله تظهر وتختفي... لكنّ كلّ الفلاسفة الذين أعرفهم، يؤمنون أنّ أهمّ تحدٍّ جادٍّ للإيمان بالله، كان في الماضي، وكائنٍ في الحاضر، وسيبقى في المستقبل، هو مشكلة الشرّ»

.[Ronald H. Nash: Faith and Reason, p.177]

ويرى بعض الباحثين: «إنّنا أمام ثلاث قضايا اثنان منها يؤمن بها الموحّدون، وهي: "الله قادر مطلقًا" و"الله خيرٌ محضٌ ويريد الخير" وهناك قضية "وجود الشرّ"، وهذه القضايا

لا يمكن اجتماعها على الصدق، أي أنّها متناقضة منطقيًّا، فلو صدقت اثنين منها وجب أن تكذب الثالثة. والموحّدون أدركوا هذا التناقض بينها؛ ولهذا حاولوا تبرير المقولة الثالثة وتأويلها لتجتمع مع القضيتين السابقتين، إلّا أنّ جميع المحاولات غير مقنعة، ويبقى الشرّ موجودًا، فاللازم سحب اليد عن القضيّة الأولى أو الثانية» [انظر: خسروبناه، مقالة: تبرير الشرور في الكون مجلة العقيدة، العدد 7].

وبناءً على ذلك فلا بدّ من تحليل حقيقة الشر وبيان مدى انسجامه وجوده مع نظام العالم الأصلح، أو تضادّه لذلك النظام.

المطلب الثاني: أقسام الشرّ

ذكروا أنّ الشر على أقسام (الميتافيزيقي والأخلاقي والطبيعي)، وقد ذكرها لايبنتز (Leibnitz) في كتابه «الثيوديسيا» (Theodicy):

[see: Leibnitz، Essays of Theodicy on the Goodness of God، chapter 2، p 21]

ورأوا أنّ الشبهة جارية في جميع هذه الأقسام، ويقصدون بها:

1- الشرّ الميتافيزيقي

هو الشرّ الذي يصيب عالم الإمكان بدءًا من عالم المادّة إلى عالم المجرّدات، وعلّته هي محدودية عالم الإمكان وضيقه بالنسبة لله المطلق ﷻ. يعبّر الفلاسفة المسلمون عن هذا الأمر بعدم الكمال المطلق. وقد ورد الشرّ الميتافيزيقي في عبارات أرسطو أيضًا، وذكروا أنّ علّة الشرّ وجود «المادة» و«الهيولى» التي هي أمر عدمي.

2- الشرّ الطبيعي الفيزيائي

يُطلق هذا الشرّ على شرور العالم الطبيعي من قبيل الزلازل والسيول المدمّرة والأوبئة والقحط والأعاصير وسائر الكوارث الطبيعية الاخرى.

3- الشرّ الأخلاقي

يُطلق على الشرور الناشئة من إرادة الإنسان واختياره، من قبيل المعاصي والأفعال القبيحة والحروب المدمّرة وأنواع الجرائم والظلم والعدوان التي تحلّ بالإنسان بيد أفراد نوعه، من الحكومات الجائرة وقوى الانحراف والعصابات وأمثالهم.

المطلب الثالث: جذور المسألة تاريخيًّا

يعتقد بعضهم أنّ أوّل من أثار هذه المسألة من الفلاسفة هو ديفيد هيوم. وهناك من يقول إنّ القضيّة قديمة، حيث يقول العقاد: «الشرور مشكلة المشاكل في جميع العصور، وليس البحث فيها مقصورًا على القرن العشرين، ولا نظنّ أن عصرًا من العصور يأتي دون أن تعرض فيه هذه المشكلة على وجهٍ من الوجوه، وأن يدور فيه السؤال والجواب على محور قديم جديد» [العقاد، عقائد المفكّرين، ص 51]. ويقول في موضع آخر: «أمّا شبهة الشرّ فهي من أقدم الشبهات التي واجهت عقل الإنسان منذ عرف التفرقة بين الخير والشرّ، وعرف أنّهما صفتان لا يتّصف بهما كائن واحد» [العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، ص 9].

والصحيح أنّ هذه المسألة قد تعرّضت لها الفلسفة اليونانية منذ القدم واختلفت الأقوال فيها:

مبدأه المثنى، يقول فيثاغورس بعد أن يقسّم العدد إلى آحاد ومثنى: فالآحاد هو مبدأ النظام الروحاني، والثناء (المثنى) هو مبدأ الانقسام، واللامعقول والشرّ.

وعند هرقليطس (Heraclitus) الخير والشرّ نسبيان لا يوجد أحدهما إلّا بوجود الآخر ولا يفهم إلّا بالنسبة إليه.

و بارامنيدس (Parmenides) يرى أنّ الوجود هو الخير، وأنّ الشرّ أمر ظاهري صرف.

وإمبازقليس (Empathocles) يرى أنّ الخير والشرّ يتصارعان فيما بينهما، ويصدران عن مبدأين متعارضين هما المحبّة والكراهية، وسينتهي الصراع بفوز الخير.

وديمقريطس (Democritus) يرى أنّ الخير والشر كليهما ناتج عن صدفة اللقاء بين الذرّات.

بينما عند السوفسطائية الخير هو النافع والشرّ هو الضارّ، والتمييز بينهما يكون عن طريق اللذّة، فما يحقّقها هو الخير، وأمّا الذي يحقّق الألم فهو الشرّ، وكلاهما حسّيّان.

وأمّا سقراط فيرى أنّ منشأ الشرّ هو الجهل، ولا أحد يرتكب الشرّ وهو عالمٌ بأنّه شرٌّ. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 186].

وأفلاطون يقرّر بأنّ الشرّ ليس بوجود، ولكنّه يحصل في الوجود الواقعي، وهو المتعدّد والمحسوس والظاهري. وإنّه يصدر عن المادّة وعن طبيعة ما هو جسماني، وعن عدم التحديد والتعيّن وعن الاضطراب في النظام. يقول: «إنّ الله لأنّه هو الخير لا يمكن أن يكون علّة الشرّ، وليس هو علّة كلّ شيءٍ كما يقول العامّة، وفيما يتعلّق ببني الإنسان فإنّ الله علّة لأحداث قليلة، وليس علّةً لأمور كثيرة؛ لأنّ شرورنا أكثر من أفعالنا الخيّرة» [أفلاطون، محاورة السياسة، ح 379].

وأرسطو تارةً يربط الشرّ بالهيولى، وأحيانًا بالإفراط والتفريط في الأعمال الأخلاقية، فكأنه يؤكّد أنّ الشرّ هو عدم وسلب. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 187]

بحسب ما جاء في التاريخ فإن الفيلسوف أبيقور (234- 270 ق .م) - الذي أسّس المدرسة الأبيقورية في أثينا - أوّل من عرض هذه المسألة بصورة تقرير علمي، فهو يقرّر صراحةً أنّ الشرّ إيجابي ويسود عالم الوجود، ووجود الشرّ في الكون يدلّ على أنّ الآلهة لا يعنون بالعالم. [انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 3، ص 81]

ويقرّر الشبهة: إمّا أنّ الله يريد زوال الشرّ ولكنّه لا يقدر على ذلك، وإمّا أنّه يقدر على ذلك ولكنّه لا يريد ذلك، وإمّا أنّه لا يريد ولا يقدر، وإمّا أنّه يريد ويقدر. فإن كان يريد ولا يقدر فهو عاجز، وإن كان يقدر ولا يريد فهو حاسد، وإن كان لا يريد ولا يقدر فهو حاسد وعاجز، وإن كان يريد ويقدر، فلماذا وجدت الشرور؟ ويمكن وصف محاججته بما يلي:

أ- إذا كان يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير بالعالم، إذن لن يوجد الشرّ.

ب- يوجد شرٌّ في العالم

جـ- إذن، لا يوجد إله كامل القدرة والمعرفة والخير في الآن ذاته.

ورغم أنّهم يقولون بهذا القول إلّا أنّهم يعتقدون بأنّ الشرّ لا يوجد إلّا في الجزئيات، أمّا في الكلّ فهو غير موجود؛ لأنّ الكلّ بما هو كلٌّ خيرٌ. وعلى الحكيم إذن أن يتّبع الكلّ ولا يحفل بالجزئيات؛ ولهذا فإنّ الألم والموت غير موجودين بالنسبة إليه، وحتى لو وضع في جوف ثور فالاريس - وهو جوف تتأجج فيه النيران - فإنّه سيشعر كما لو كان راقدًا في سريره الوثير!

والجواب الذي يقترحه أبيقور متأرجح بين أربعة احتمالات:

يريد الإله منع الشرور ولكنّه لا يقدر، فهذا عجز في حقّه.

يستطيع الإله منعَ الشر ولكنّه لا يريد، فهو إذن إله شرّير، بل هو أصل الشرور فى العالم!

يستطيع الإله منع الشرور ويريد منعها، وحينئذٍ من أين تأتي هذه الشرور الموجودة في العالم؟ ولم لا يمنعها الإله؟

لا يستطيع الإله منع الشرور ولا يريد ذلك، فقد اجتمع فيه إذن العجز والشرّ فليس إلهًا، ولا وجود إذن للإله الخالق!

ومن البدهي أن هذه الاحتمالات الموضوعة على شكل عناوين مختصرة تختزل تعقيد المشكلة وتسطّح نتوءاتها الراجعة إلى عدم تحرير التعريفات والاصطلاحات، وعدم انضباط مقدّمات البراهين. والإشكالات العميقة لا يمكن الجواب عنها دون تفصيل وبيان.

المطلب الرابع: تفسير الشر في الأديان

هذا المصطلح له معانٍ متعدّدة في الأديان، وتبعًا لهذه المعاني تغيّرت الآثار المترتّبة عليه، فمنهم من اعتقده مؤثرًا بحدّ ذاته كالمثنوية، ومنهم من حمله على وجوده في الناس كالبوذية، ومنهم من حمله على ما هو غير مرغوب شرعًا، ومنهم على الذي يضرّ بالإنسان، مع ملاحظة أنّ الأديان خاطبت الناس مخاطبات عرفية، وهنا نشير إلى نظرية الدين الإسلامي وحلوله لهذه المشكلة.

حين نستطلع الآيات الكريمة والروايات الشريفة، التي تبيّن لنا نظرة الشارع المقدّس إلى المصطلحات باعتبار المخاطب العرفي بها؛ نجد أنّ النصوص الدينية من الآيات المباركة والروايات الشريفة تشير إلى الشرّ في معانٍ متعدّدة، فالمعنى المراد من الشرّ في القرآن الكريم والروايات المباركة متعدّد، فتارةً يُطلق الشرّ ويراد منه الاسم وأخرى يراد منه الوصف، قال الراغب: «الخير والشرّ يقالان على وجهين: أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدّم، وهو قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [سورة آل عمران: 104]. والثاني: أن يكونا وصفين، وتقديرهما تقدير (أفعل منه)، نحو: هذا خيرٌ من ذاك وأفضل» [الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 160].

ومن خلال فلسفة الشرور والغاية منها في الآيات والروايات يمكن التعرف على معاني الشرّ فيها والتي هي كثيرة؛ ويمكننا عن طريقها تفسير هذه المشكلة:

1- معاني الشرّ في الآيات والروايات

أ- وسيلة للابتلاءات الإلهية: قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 3].

باعتبار أنّ الابتلاءات واحدة من الأمور التي يعتبرها بعضهم شرًّا، والله تعالى في كلامه الكريم يبيّن أن هذه الأمور التي تعدّ فتنةً وشرورًا تعود في واقع الأمر بالنفع على العبد، وأنّها من باب الاختبار والتمحيص.

يقول الطريحي: «والفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصله من فتنت الفضّة إذا أدخلتها في النار لتتميّز» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 6، ص 291]. وقال عزّ من قائلٍ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: 141].

جاء في مجمع البحرين: «أي يخلّصهم من ذنوبهم وينقّيهم منها. يقال محّص الحبل: إذا ذهب منه الوبر حتّى يخلص. وفي الحديث: «لا بدّ للناس أن يمحّصوا ويغربلوا»، أي يبتلوا ويختبروا ليعرف جيّدهم من رديّهم. وفي حديث عليٍّ عليه السلام وذكر فتنة فقال: «يمحّص الناس فيها تمحّص ذهب المعدن من التراب»، أي يختبرون فيها كما يختبر الذهب ليعرف الجيّد من الرديء، من التمحيص وهو الابتلاء والاختبار. ومحّص الله العبد من الذنب: طهّره. وقولهم: ربّنا محّص عنّا ذنوبنا، أي أذهب عنّا ما تعلّق بنا من الذنوب» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 4، ص 183].

وفي الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قال: نجد الخير ونجد الشرّ») [الكليني، الكافي، ج 1، ص 124].

ب- الفقر والفاقة: جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الشرّ: هو الفقر والفاقة» [القمّي، تفسير القمّي، ج 2، ص 386]. وجاء في تفسير قوله تعالى في تفسير مجمع البحرين: «﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ هَلُوعًا﴾ أي حريصًا، ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني الفقر والفاقة ﴿جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ الغنى والسعة ﴿مَنُوعًا﴾، وفي حديث صفات المؤمن لا جشعٌ ولا هلعٌ من الهلع وهو أفحش الجزع» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 4، ص 411].

جـ- للوصول إلى مقامات إلهية عالية كالإمامة: قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: 124].

د- مقدّمة للخروج من الظلم والاستبداد: قال عزّ اسمه: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [سورة البقرة: 49]، فهنا كان الابتلاء والشرور.

هـ- الكفر والشرك بالله تعالى: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ نُطْفَةَ الْمُؤْمِنِ لَتَكُونُ فِي صُلْبِ الْمُشْرِكِ، فَلَا يُصِيبُهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا صَارَ فِي رَحِمِ الْمُشْرِكَةِ، لَمْ يُصِبْهَا مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ حَتَّى تَضَعَهُ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ، لَمْ يُصِبْهُ مِنَ الشَّرِّ شَيْءٌ حَتَّى يَجْرِيَ عَلَيْهِ الْقَلَمُ» [الكليني، الكافي، ج 3، ص 37].

2- صفات الشرّ في الآيات والروايات

أ- السوء والفساد والظلم: قال الطريحي: «وفي الحديث ولد الزنا شرّ الثلاثة ... والشرّ: السوء والفساد والظلم والجمع شرور» [الطريحي، مجمع البحرين، ج 3، ص 344].

ب ـ المنكر: عن الإمام الصادق عليه السلام: «وَرَأَيْتَ الشَّرَّ ظَاهِرًا لَا يُنْهى عَنْهُ وَيُعْذَرُ أَصْحَابُهُ» [الكليني، الكافي، ج 15، ص 109].

ج ـ البخل: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ﴾ [سورة آل عمران: 18].

د ـ عدم التعقّل: قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنفال: 22].

هـ ـ الظلم: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «شَرُّ النَّاسِ عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُكرَمُونَ اتِّقَاءَ شَرِّهِم» [الكافي، ج 2، ص 327 باب من يتقى شرّه]. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ» [نهج البلاغة، الخطبة 164]، أي الذي يظلم الناس، وعنه عليه السلام: «شَرُّ النَّاسِ مَن يَظلِمُ النَّاسَ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 408، الحكمة 5].

و ـ عدم قبول العذر وعدم العفو عن الناس: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ مَن لَا يَقبِلُ العُذرَ وَلَا يُقِيلُ الذَّنبَ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 409، الحكمة 14].

ز ـ الخوف من الناس وعدم الخوف من الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ مَنْ يَخْشَى النّاسَ فى رَبّه وَ لَا يَخْشى رَبَّهُ فِي النّاسِ» [الآمدي، غرر الحكم، ص 412، الحكمة 68].

حـ ـ سلب الخيرات: جاء في «مناهج البيان» في تفسير قوله جل جلاله: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾: «أنّ المراد بالشرّ في الآية ما يعمّ الضرر من الأمور الوجوديّة مثل البلاء والعذاب، ومن الأمور العدمية مثل سلب المواهب والكرامات وسلب الخيرات والحسنات، مثل تبديل الصحّة بالمرض والأمان بالخوف. ويقع مصداقًا للقبيح والمعصية، إذا كان من أفعال غيره تعالى» [الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، ج 30، ص 748].

ط ـ المرض: «عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام: أنّ أمير المؤمنين مرض مرضًا شديدًا، فعاده إخوانه، وقالوا له: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: بشرٍّ! فقالوا: سبحان الله ما هذا كلام رجلٍ مثلك! فقال: يقول الله تعالى ذكره: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾، والخير في الصحّة والغنى، والشرّ في المرض والفقر» [المامطيري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، ص 217].

ي ـ الجهل: عن الإمام الباقر عليه السلام في وصيّته لجابر بن يزيد الجعفي: «ادفَع عَن نَفسِكَ حاضِرَ الشَّرِّ بِحاضِرِ العِلمِ» [الحرّاني، تحف العقول، ص 285؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج 75، ص 163].

ك- نتيجة الجهل، وهذا المعنى نراه في طائفة من الروايات نذكر منها:

-عن رسول الله ﷺ: «الجَهلُ رَأسُ الشَّرِّ كُلِّهِ» [ري شهري، موسوعة العقائد الإسلامية، ج 1، ص 357].

-عن الإمام عليٍّ عليه السلام: «الجَهلُ أصلُ كُلِّ شَرٍّ» [الآمدي، غُرَرُ الحِكَم ودُرَرُ الكَلِم، ص 819].

-عن الإمام الصادق عليه السلام: «الْخَيْرُ وهُوَ وَزِيرُ الْعَقْلِ، وجَعَلَ ضِدَّه الشَّرَّ وهُوَ وَزِيرُ الْجَهْلِ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 69].

وهناك الكثير من المعاني التي تشير إلى الجهل، والمراد منه غير ما ذهب إليه أصحاب الشبهة كما سيأتي بيان ذلك في الحلول المدعاة والرأي المختار.

فمن خلال ما قدّمناه يتّضح لنا أنّ الشارع المقدّس لم يغفل عن هذه المسألة، وبيّنها بما يناسب الذهن العرفي، وأشار لها إشاراتٍ واضحةً يقبلها العقل البسيط، المؤمن بالله تعالى، فالإنسان المؤمن تكفيه هذه الإجابات المنصوصة، أمّا غير المؤمن أو المشكّك فتحتاج إلى تبيين أكثر، وهذا ما سنذكره في الحلول.

المطلب الخامس: تفسير الشرّ علميًّا

لم يتوصّل العلم رغم ما بلغ من التقدّم والتطوّر إلى أسباب وجود بعض الأمور والغاية منها؛ وذلك يعزى إلى أنّ العلوم الحالية تعتمد على الحسّ والتجربة في إصدار أحكامها، وهي بدورها تحتاج إلى تكرار المشاهدة، وتستقرئ وجود الأثر عند وجود مؤثّره حتّى تحكم بالأسباب والمسبّبات، والخوض في مثل هذه الأمور يحتاج إلى وقت ليس بمقدور الإنسان عيشه؛ لأنّ بعض التجارب العلمية والمشاهدات تحتاج إلى أكثر من عمر الإنسان بعشرات المرّات كي يُحكم بصحّتها أو عدم صحّتها. وكذلك تفشل في تفسير بعض الأمور الميتافيزيقية كونها خارجةً عن الحسّ.

ولكن على قلّة ما تمكّن العلم التجربي من كشف أسرار بعض الموجودات، يتّضح أنّ كلّ ما يكشف لنا على هو أتم الإبداع، وخارج عن الشرّيّة المدّعاة وينفي العبثية بضرس قاطع.

فمن خلال ظاهر بعض الحالات يتراءى لنا ونظنّ بأنّ ضررها أكثر من نفعها، بينما قد أثبت العلم أهمّيّتها بل ضرورتها أو على الأقلّ كون خيرها أكثر من ضررها بمرّات كثيرة، وهذا يتلاءم مع التقسيم العقلي للشرّ، وأنّ الموجودات ضررها أقلّ من نفعها، فلا يمكن تصوّر شيء موجود ضرره أكثر من نفعه. نعم، قد يكون الضرر نسبيًّا، ولكن إن قسناه الى النظام العامّ والكون نجده قليلًا جدًّا بل لا يكاد يؤثّر.

ونرجع إلى ما يمكن للعلم تفسيره من أقسام الشرور آنفة الذكر، وهما الشرور (الطبيعية والأخلاقية)، فيمكن أن تقع ضمن تفسير العلم ونرى المعطيات المخرجة من خلال التجارب والاكتشافات العلمية لبعض ما ادّعي شرّيّته. أمّا الشرور الميتافيزيقية فهي خارجة عن تفسير العلم، فتقع ضمن معطيات الدين والحكمة.

1- الشرور الطبيعية

سنذكر هنا بعض الأمثلة بما يسع المجال:

أ- البراكين والزلازل

حينما تحصل هاتان الظاهرتان فإنّهما تخلّفان دمارًا في المناطق وخسائر مادية وبشرية، وكذا تبعاتها من قبيل التسونامي (الموجات القاتلة) والتي هي إحدى نتائج حدوث هزة أرضية داخل المحيطات، كما وتؤدّي إلى أضرار اقتصادية وإزهاق الأرواح وتغييرات جغرافية وتصاعد الأبخرة السامة والخوف الشديد وإرباك الخدمات الحيوية (الكهرباء والماء ...)، علاوةً على الصدمة النفسية للناجين وغيرها.

وآخر الاكتشافات العلمية توصّلت الى أن لبّ الأرض متكون من جزئين داخلي صلب وخارجي سائل متكون من معادن منصهرة، ويدوران بسرعات مختلفة، ويولّد عن ذلك تيّارات كهربائية، فينتج المجال المغناطيسي، وبين فترة وأخرى تتنفّس الأرض عن طريق هذه النيران، فقسمٌ من هذه التنفيسات تخرج على شكل أبخرة وحمم عن طريق البراكين، والقسم الآخر تؤثّر على الطبقات الأرضية وتحرّكها من مكان الى آخر، فتظهر آثارها بصورة زلازل، وبعضها يسبّب حركاتٍ عنيفةً للمياه في البحار فيتولّد التسونامي.

[Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition. chapter5 , p.132]

فوائد البراكين والزلازل

مع الأسف هناك الكثير ممّن يدعي وجود الشبهات نتيجةً لعدم اطلاعه أو جهله، مع أنّ الجهل بالشيء لا ينفي فائدته، فهناك الكثير من الفوائد، بل تكاد تكون المضارّ لا تقاس بالفوائد، و يمكننا تقسيمها إلى:

الفوائد العلمية

الزلازل تولّد موجاتٍ تسمّى الموجات الزلزالية (seismic waves) وبدونها لما استطاع علماء الفيزياء والجيولوجيا تشخيص التركيب الداخلي للأرض، فكلّ معلوماتنا عن هذا

التركيب مصدرها الموجات الزلزالية التي تتحرّر من بؤرة الزلزال، وقد وجدوا أن باطن الأرض يتألّف من لبٍّ داخلي ولبٍّ خارجي وقشرة. وهذه فائدة عظيمة للعلماء لا يمكن إنكارها. [Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition. chapter 10, p. 299]

ومن خلال ذلك تجمّعت للعلماء معلومات كبيرة استثمروها في أبحاثهم العلمية التي لها الفضل في تجنّب البشرية بعض الأزمات والكوارث الطبيعية.

من أهم الآثار الإيجابية للبراكين ما يلي:

ـ أنّ الموادّ البركانية غنية بالمعادن المفيدة للصناعة والزراعة مثل: البوتاسيوم والحديد والكبريت، ومن المعلوم أنّ التربة الغنيّة بالرماد البركاني من أخصب أنواع التربة.

ـ تستخدم مياه الينابيع الحارة، التي تنفجر نتيجة النشاط البركاني في التطبيب والاستشفاء من الأمراض الجلدية والروماتيزم، ومن أمثلتها عين نجم بالأحساء.

ـ تستخدم المياه الحارة المنبثقة من جوانب البركان كمصدر للطاقة أحيانًا، وقد استخدمت مثل هذه المياه في أيسلندا في الأغراض الزراعية، وذلك بإيصالها داخل أنابيب إلى مزارع خاصة مكيفة للحصول على النباتات الاستوائية. وفي إيطاليا استعمل الدخان الأسود الناتج من الفتحات الغائرة تحت سطح الأرض في تشغيل المولّدات الكهربائية.

ـ تكون فوهات البراكين بحيرات مياه قد يزيد قطرها على 3 كيلومترات، أو بحيرات مواد كيميائية كالأحماض التي تعدّ ثروةً طبيعيةً في حدّ ذاتها.

ـ بناء أجزاء شاسعة من الأرض مثل هضبة الدكن بالهند وهضبة نهر كولومبيا بأمريكا الجنوبية.

ـ من مخرجات البراكين الهامّة الكبريت الذي ينتج من تكثّف ثمّ تجمّد الغازات الكبريتية المتصاعدة في الغازات البركانية.

ب- البكتيريا

أحد الامور التي يتمسّك بها مدّعو شرّيّة الحياة هي وجود الأمراض التي تسببها البكتيريا، وقد غفلوا عن الآثار الإيجابية التي توفّرها البكتيريا بالنسبة الى حياة الإنسان ودورة الحياة في الطبيعة، ومن هذه الفوائد:

الأهمّيـة الاقتصاديـة للبكتيريـا مسـتمدّة مـن حقيقـة أنّ البكتيريـا تسـتغلّ مـن قبـل البـشر في عـدد مـن الطـرق المفيـدة.

على الرغـم مـن أن بعـض أنـواع البكتيريـا تلعـب أدوارًا ضـارّةً مثـل التسـبّب بالأمراض وفسـاد الطعـام، فـإنّ العديـد مـن أنـواع البكتيريـا تقـوم بـأدوار مهمّـة في كلٍّ مـن الزراعـة والصناعـة. تتكافـل مجهـودات الكيمائيـين والمهندسـين ومختـصّي الأحيـاء الدقيقـة في اسـتعمال أنـواع كثـيرة ومختلفـة مـن الكائنـات الحيّـة الدقيقـة مـن أجـل الحصـول على كسـب اقتصـادي، أو منـع حـدوث خسـارة اقتصاديـة. هنـاك العديـد مـن المـوادّ المتوفـرة لاسـتخدام الإنسـان وهي نتـاج نشـاط ميكـروبي، بعضهـا يسـتعمل منـذ القـدم، وهـو يعـبر عـن العمليـات التعاقبيـة لإنتـاج مـادة مـا صناعيـة بواسـطة الأحيـاء الدقيقـة بالتخمـير، على عكـس المفهـوم الشـائع، فـان هـذه العمليـات تحتـاج إلى كمّيـات كبـيرة مـن الهـواء، وتتـمّ في صهاريـج ضخمـة يسـمّى كلٌّ منهـا «مخمـارًا»، ويتـم التحكّـم في درجـة حـرارة المخامـير وحموضـة الوسـط الذي تحتويـه وتهويتـه لتوفـير الظـروف المثـلى لتكاثـر الكائنـات الدقيقـة، وبالتـالي الحصـول على كمّيـات كبـيرة مـن المنتوجـات المرغـوب فيهـا.

كمـا نسـتفيد منهـا في إنتـاج العقاقـير الطبّيّـة، فهنـاك العديـد مـن العقاقـير الطبّيّـة الـتي يتـمّ إنتاجهـا صناعيًّـا بواسـطة الأحيـاء الدقيقـة، وتعـدّ المضـادّات الحيويـة الـتي تنتجهـا البكتيريـا والفطريـات منـذ اكتشـاف البنسـلين سـنة 1929 وتطويـر صناعتـه سـنة 1942، فوضـع القاعـدة الأساسـية لإنتـاج هـذة المـوادّ المهمّـة الـتي أصبحـت المخوّلـة أساسًـا للعـلاج الناجـح للعديـد مـن الأمـراض البكتيريـة وتحسـين السـلالات المنتجـة هـو أحـد الأهـداف الرئيسـية لمجـال الأحيـاء الدقيقـة الصنـاعي.

وأفضـل مثـال على هـذا هـو مـا تـمّ التعامـل بـه مـع فطـر البنسـليوم المنتـج للمضـادّ الحيـوي البنسـلين. ولـم تنتـج المزرعـة الأصليـة لهـذا الفطـر البنسـلين بكمّيّـات كبـيرة يصلـح اسـتغلالها اقتصاديًّـا، ولكـن تـمّ عـزل مزرعـة جديـدة أكـثر فعاليـة في إنتـاج البنسـلين مـن ثمـرة بطّيـخٍ متحلّلـة، فعولجـت سـلالة هـذة المزرعـة بواسـطة الأشـعّة فـوق البنفسـجية وأشـعة x، فـزاد مـن إنتـاج هـذا المضـادّ الحيـويّ أكـثر مـن 100 ضعـف، إذ تنتـج السـلالات المسـتعملة اليـوم مـا يعادل 60000 ميـلي غـرام لـكلّ لتر.

ومـن أمثلـة المضـادات الحيويـة المنتجـة (البنسـلين، الستربتومايسـين، البـولى مكسـين، السيفالوسـبورين). اسـتخدمت الكائنـات الحيّـة الدقيقـة أيضًـا في إنتـاج عـدد مـن الهرمونـات

البشريـة وتحويرهـا، وبدورهـا تسـتعمل كعقاقـير مثـل الإنسـولين وهرمـون النمـوّ والسـتيرويدات المختلفـة مثـل الكورتـيزون الذي يسـتعمل كمضـادٍّ للالتهابـات، وكذلـك هرمـون الإيسـتروجين والبروجيسـترون الـلذان يسـتعملان في عقاقـير منـع الحمـل، ويجـرى العمـل بالاسـتعانة بتقنيّـات الهندسـة الوراثيـة واسـتخدام التقانـة الحيويـة على اسـتخدام الأحيـاء الدقيقـة في تصنيـع لقاحـاتٍ ضـدّ بعـض الأمـراض المسـتعصية، مثـل التهـاب الكبـد الوبـائي البـائي، ومـرض الحـمى القلاعيـة الـتي تصيـب الأغنـام والماشـية. يجـري إنتـاج بعـض أنـواع الفيتامينـات بكمّيّـات كبـيرة صناعيًّـا بواسـطة الأحيـاء الدقيقـة، إذ تسـتعمل أنـواع بكتيريـا (pseudomonas) وبكتيريـا (propionibacterium) لإنتـاج فيتامـين B12 وأنـواع الفطـر (ASHBYA) في إنتـاج فيتامـين B2، أمّا فيتامـين C فينتـج بالاسـتعانة بأنـواع البكتيريـا التابعـة لجنـس (ACETOBACTER).

[see: Serres MH, Gopal S, Nahum LA, Liang P, Gaasterland T, Riley M 2001]

2- الشرور الأخلاقية

يشـكل بعضهـم على الواقـع بمـا صنعـه بعـض الأشـخاص المـرضى نفسـيًّا في العالـم، مـن حـروب وانتهـاكات لقيـم الإنسـانية، وينسـبها الى الخالـق. فقـد خلـق الله تعـالى الإنسـان وجعـل له قـوًى تسـاهم في حفـظ النسـل والبقـاء على قيـد الحيـاة، ونلاحـظ أنّ بعـض الـشرور الأخلاقيـة الـتي تظهـر مبدأهـا الإنسـان بإرادتـه الحـرّة، ووضـع القوانـين للسـيطرة على السـلوك المنحـرف الذي يظهـر عنـد بعضهـم نتيجـة لخـلٍ في نظامـه المعـرفي والثقـافي. فالإنسـان كائـن قابـل للتعلّـم والـترقّي وقابـل للتسـافل والتنـازل، حـتّى لـو عاش في جنّـة أرضيـة.

وقـد خُلـق الكـون ضمـن موازيـن ومقاديـر، فلـو فـرض أن يُجعـل المجتمـع كامـلًا مـن كلّ شيء مـن دون تهذيـب ولا رقيـب، فـإنّ ذلـك سـيؤدّي إلى الهـلاك، وهـذا مـا تؤيّـده بعـض التجـارب العلميـة. فلـو فرضنـا أنّـه قـد تهيّـأ للنـاس عالـمٌ خـالٍ مـن الـزلازل والفيضانـات، والـرزق فيـه معـدٌّ على أبعـد حـدوده، فهـل يمكـن لنـا أن نحكـم بـضرس قاطـع أنّـه سـيولد لنـا عالـم مثـالي خـالٍ عـن الـشرور المـدّعاة؟

تجربة الكون 25

خلـق الله تعـالى الإنسـان، وجعـل له قـوًى تسـاهم في حفـظ النسـل والبقـاء على قيـد الحيـاة، ونلاحـظ أنّ بعـض الـشرور الأخلاقيـة مبدؤهـا الإنسـان بإرادتـه، فوضـع القوانـين للسـيطرة على

السلوك المنحرف الذي يظهر عند بعضهم نتيجة لخلاٍ في نظامه المعرفي والثقافي. فالإنسان كائن قابل للتعلم والترقي وقابل للتسافل والتنازل، حتّى لو عاش في جنّة.

وقد خُلق الكون ضمن موازين ومقادير، فلو فرض أن يجعل المجتمع كاملًا من كل شيء من دون تهذيب ولا رقيب، فإنّ ذلك سيؤدّي إلى الهلاك، وهذا ما تؤيّده بعض التجارب العلمية، منها تجربة الكون (universe 25 experience 25) في الستينيات، بواسطة عالم السلوك الأمريكي جون كالهون (John Calhoun)، واعتُبرت واحدةً من أهمّ التجارب العلمية في التاريخ، وهي تجربة علمية اجتماعية درست و أظهرت سلوك الفئران في ظلّ ظروف مثالية للحياة. وكانت النتائج غير متوقّعة وتقشعرّ لها الأبدان. وكانت الغاية من الدراسة فهم كيفية تأثير الكثافة السكانية العالية على سلوك الفئران ومحاولة العلماء ربطها بعالم الإنسان والبشرية. ففي 9 تموز سنة 1968 بالتحديد، جرت تجربة يصفها بعضهم بالمرعبة، إذ جمع فيها فئرانًا ضمن شروط معينة، ووفّر لها كلّ ما تحتاج إليه من طعام وشراب ووسائل تحاج إليها، داخل صندوق لا تزيد مساحته الإجمالية عن سبعة أمتار مربّعة، وأسماها بجنّة الفئران (يوتيوبيا الجرذان)، الأمر المثير للدهشة أنّه خلال 600 يوم من هذه التجربة تغيّر السلوك الفطري لهذه الفئران وأصبح وحشيًّا مرعبًا، الذي عبّر عنها كالهون بـ «الاضمحلال السلوكي» لوصف السلوكيات الشاذّة في حالات الاكتظاظ السكاني، و«الأشخاص الجميلين» لوصف الأفراد غير النشطين الذين انسحبوا من التفاعلات الاجتماعية! تمّ تشكيل تسلسل هرمي بينهم، ثمّ ظهر ما يسمّى بـ «البؤساء» أو الضعفاء. بدأت القوارض الأكبر في مهاجمة الأصغر والأضعف، ممّا أدى إلى أن العديد من الذكور بدأوا في الانهيار نفسيًّا. ونتيجة لذلك، لم تحمِ الإناث أنفسهنّ وأصبحن بدورهن عدوانياتٍ تجاه صغارهنّ. مع مرور الوقت، أظهرت الإناث المزيد والمزيد من السلوك العدواني والعزلة وانعدام المزاج الإنجابي.

كان هناك معدل ولادة منخفض، وفي الوقت نفسه زيادة في معدّل وفيّات القوارض الأصغر سنًّا. ثمّ ظهرت فئة جديدة من ذكور القوارض، تسمّى «الفئران الجميلة». والتي رفضت التزاوج مع الإناث أو القتال من أجل منطقتهم، كلّ ما كانوا يهتمّون به هو الطعام والنوم.

في وقت من الأوقات، كان هؤلاء الذكور والإناث يشكّلون غالبية السكان. مع مرور الوقت بلغ معدل وفيّات الأحداث 100٪ ووصل الإنجاب إلى الصفر. بين الفئران المهدّدة بالانقراض، لوحظ الشذوذ الجنسي، وفي الوقت نفسه، زاد أكل لحوم بعضها بعضًا، على الرغم من حقيقة

وجود الكثير من الطعام. بعد عامين من بدء التجربة، ولد آخر طفل في المستعمرة. بحلول عام 1973، قتل آخر فأر في «الكون 25». كرّر جون كالهون التجربة نفسها 25 مرة أخرى؛ لذلك سمّيت بـ (الكون 25)، وفي كلّ مرّة كانت النتيجة واحدة. فتحوّلت الجنّة إلى جحيم بعد خمس سنواتٍ تقريبًا.

هذا العالم النموذجي الذي صنعه (كالهون) لنوع واحد تتّحد في الغرائز من الحيوانات وتبدّل إلى جحيم، فكيف يمكن أن نفترض عالمًا كهذا لبني الإنسان الذين يختلفون في أخلاقهم ومصالحهم، فهذه التجربة تبيّن استبعاد حصول الجنّة الأرضية إلّا بحصول أمر إلهي خارق للعادة.

لصعوبة إجراء التجربة على البشر، وظّف عالم النفس جوناثان فريدمان (Jonathan Friedman) مجموعةً من طلاب المدارس الثانوية والجامعات لإجراء سلسلة من التجارب لقياس آثار الكثافة السكانية على السلوك، وقاس ضغطهم وانزعاجهم وعدوانيتهم وتنافسهم وعدم رضاهم العام، وكان ذلك عام 1975.

وما نشهده حاليًّا في مجتمع اليوم من رجال ضعفاء لديهم مهارات قليلة أو معدومة، وإناث مفرطات في الانفعال والعدوانية بدون غرائز أمومية طبيعية، وجرائم قتل يشيب لها الولدان في المجتمعات البشرية العالمية، فيمكن للمتأمل يرى وجه الشبه بينها وبين تجربة (الكون 25).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الشورى: 27]، فأغلب المشاكل الأخلاقية التي نراها ـ إن لم نقل كلّها ـ ناتجة من الإنسان نفسه، وأكبر الفجائع الإنسانية التي ينقلها التاريخ، ومنها فاجعة الطفّ الإليمة وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، والحروب الصليبية والعالمية وغيرها سببها حبّ الإنسان لنفسه، والتصرّف الحاصل من الإنسان بكامل اختياره وعقله.

يتحصّل أنّ الشرّ الأخلاقي المدّعى إنّما هو من طبيعة الإنسان، فالمشكلة عند الإنسان بإرادته وليس بالجبر، وكلّ الموجودات ترغب بالتكامل والعيش، وإن أدّى إلى حصول المنازعات وتغليب المصلحة الشخصية، فالحيوانات المفترسة ضمن غريزتها تحاول التكامل حتّى لو افترست الطفل الصغير، كذلك السارق حينما يسرق ينظر إلى مصلحته الشخصية، فكلٌّ يرتقي في سلّم تكامله الغريزي، فلا يمكن رؤية أيّ نوع من أنواع الشرور، بل خير محض وإن سبّب بالتبع بعض الأضرار.

المطلب السادس: الردّ على إشكالية الشرّ

بصورة عامّة هناك عدّة ردود على هذه المعضلة، منها ما قد اعترفت بوجود الشرّ، ومنها ما اعتبره نسبيًّا، ومنها من اعتمدت على عدميته، نذكر منها:

1- الشرّ عدم ملائمة الطباع

قال المحقّق الطوسي: «تفسير ما ورد أنّه تعالى خالق الخير والشرّ: أريد بالشرّ ما لا يلائم الطباع وإن كان مشتملًا على مصلحة» [المقداد السيوري، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، ص 138].

ثمّ يفسّر هذا القول العلّامة المجلسي في «مرآة العقول»: «وتحقيق ما ذكره أنّ للشرّ معنيين: أحدهما: ما لا يكون ملائمًا للطبائع كخلق الحيوانات المؤذية، والثاني ما يكون مستلزمًا للفساد، ولا يكون فيه مصلحة، والمنفيّ عنه تعالى هو الشرّ بالمعنى الثاني لا الشرّ بالمعنى الأوّل، وقال الحكماء: ما يمكن صدوره من الحكيم إمّا أن يكون كلّه خيرًا، أو كلّه شرًّا، أو بعضه خيرًا وبعضه شرًّا، فإن كان كلّه خيرًا وجب عليه تعالى خلقه، وإن كان كلّه شرًّا لم يجز خلقه، وإن كان بعضه خيرًا وبعضه شرًّا فإمّا أن يكون خيره أكثر من شرّه، أو شرّه أكثر من خيره، أو تساويا، فإن كان خيره أكثر من شرّه وجب على الله خلقه، وإن كان شرّه أكثر من خيره أو كانا متساويين لم يجز خلقه، وما نرى من المؤذيات في العالم فخيرها أكثر من شرّها» [المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج 2، ص 179].

2- الشرّ متعلّق بعالم المادّة

قد ثبت في محلّه أنّ الموجودات المادّية لها في طبيعتها ما بالقوّة، فالبذرة لها قابلية أن تتحوّل إلى شجرة، والنطفة إلى جنين، وهكذا دورة الحياة، فالموجود الذي في طبعه ما بالقوّة أي التحوّل من شيء إلى شيء آخر مسانخ للأول هذا يلحقه الشرّ، فكلّما كانت ما بالقوّة في الموجود أكبر كان الشرّ أكثر، فهناك تناسب طردي بين ما بالقوّة والشرّ، يقول الميرداماد: «كلّ شيء وجوده على كماله الأقصى وليس فيه ما بالقوّة، فلا يلحقه شرٌّ. وإنّما الشرّ يلحق ما في طباعه ما بالقوّة، من جهة المادّة الحاملة للقوّة الاستعدادية. فعالم التحميد والتسبيح بريء من وجه الشرّ مطلقًا. ثمّ كلّ ما كان ما بالقوّة فيه أقلّ كان قسط البراءة عن الشرّ فيه أوفر وأكثر» [الداماد، القبسات، ص431].

فهـذا يزهـد بالدنيـا ويبـيّن أنّ الـشرّ متعلّـق بعالـم المـادّة، والـتي بزوالهـا يـزول الـشرّ بنـاءً على هـذا المبـنى.

3- الشرّ موجود بالعرض وليس بالذات

مـا نـراه مـن شرور داخـل في مـراده تعـالى بالعـرض لا بـالذات، يقـول العلـوي العامـلي: «لا يخـفى أنّ خلـق الـشرّ وإيجـاده تعـالى بالعـرض لا بـالذات، بـل ذلـك تبعًـا لإيجـاده الخـيرات. ألا تـرى أنّ خلـق المـاء فيـه منافـع كثـيرة وشرور قليلـة كهـدم بعـض الأبنيـة وهـلاك بعـض الأشـخاص، والواجـب ﷻ إنّمـا أوجـده لـلأوّل مـن الأمريـن لا للأخـير، فيكـون المطلـوب منـه هـو الحسـن لا القبيـح، وكـذا إنّ مـا خلـق مشـتمل على خـيرات كثـيرة وشرور قليلـة، وليـس خلقـه إلّا لاشـتماله على الخـيرات، لا لاشـتماله على الـشرور أو لاشـتماله عليهمـا معًـا، فيكـون وقـوع الـشرّ منـه تعـالى بالعـرض لا بـالذات... ثـمّ بمـا قرّرنـا مـن دخـول الـشرّ القليـل بالعـرض في المشـيّة تبعًـا للخـير الكثـير مثـلًا. إنّ الله تعـالى مشـيّته وإرادتـه ليسـت إلّا أن يتحقّـق خـير كثـير يلزمـه شرٌّ قليـلٌ، ولا يقـدح في ذلك وقـوع شرّ قليل داخـل في فعلـه بالعـرض والتبـع» [العلـوي العامـلي، الحاشـية عـلى أصـول الـكافي، ص 375].

فما يمكن فرضه من مخلوقات على خمسة أقسام:

1ـ مـا هـو خـيرٌ محـضٌ. 2ـ مـا خـيره أكـثر مـن شرّه. 3ـ مـا يتسـاوى خـيره وشرّه. 4ـ مـا شرّه أكـثر مـن خـيره. 5ـ مـا هـو شرٌّ محـضٌ.

ولا يمكـن تصـوّر وجـود شيء مـن الثلاثـة الأخـيرة لوجـود لازم فاسـد، وهـو الترجيـح مـن غـير مرجّـح، أو ترجيـح المرجـوح على الراجـح، وهـذا باطـل على الإله الحكيـم ولا يمثّـل النظـام الأصلـح، فمـا يوجـد مـن الـشرّ نـادر قليـل بالنسـبة إلى مـا يوجـد مـن الخـير وإنّمـا وجـد الـشرّ القليـل بتبـع الخـير الكثـير. [انظـر: الطباطبـائي، تفسـير الميـزان، ج 13، ص 187 و188]

لذلـك ورد في الدعاء عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «والْخَـيْرُ فِي يَدَيْـكَ والـشَّرُّ لَيْـسَ إِلَيْـكَ» [الكليني، الـكافي، ج 3، ص 314]، فهنـاك نـوع مـن ملازمـة عـدم العلـم والاطّـلاع الناقـص على العالـم تـؤدّي إلى الوقـوع في الخطـإ في التحليـل، مـن قبيـل الدواء المـرّ الذي يشربـه الطفـل، والذي يعتقـده شرًّا ولكنّـه مقدمـة ليدفـع عنـه الألـم الدائـم، ويجلـب الصحّـة والعافيـة الـتي لا تقـدّر بثمـن، فمـن النظـرة الأوّليـة يعتقـد بأنّـه شرٌّ ولكنّـه لـو يعلـم بـأنّ هـذا مقدّمـة لراحتـه لمـا اعـترض عليـه.

ثـمّ إنّ الـشرور الـتي في العالـم لمّـا كانـت مرتبطـةً بالحـوادث الواقعـة مكتنفـةً بهـا كانـت

أعدامًا مضافةً لا عدمًا مطلقًا، فلها حظٌّ من الوجود والوقوع كأنواع الفقد والنقص والموت والفساد الواقعة في الخارج الداخلة في النظام العامّ الكوني؛ ولذلك كان لها مساس بالقضاء الإلهي الحاكم في الكون، لكنّها داخلة في القضاء بالعرض لا بالذات. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص 187]

ومن هنا يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 216].

كما أنّ مقتضى الطبيعة الإنسانية لا يمكن تصوّر دخالة الشرور فيها، بل الخير المطلق، عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى آدَمَ عليه السلام فَقَالَ: يَا آدَمُ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخَيِّرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ فَاخْتَرْهَا ودَعِ اثْنَتَيْنِ. فَقَالَ لَه آدَمُ: يَا جَبْرَئِيلُ، ومَا الثَّلَاثُ؟ فَقَالَ: الْعَقْلُ والْحَيَاءُ والدِّينُ. فَقَالَ آدَمُ: إِنِّي قَدِ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ. فَقَالَ جَبْرَئِيلُ لِلْحَيَاءِ والدِّينِ: انْصَرِفَا ودَعَاه. فَقَالا: يَا جَبْرَئِيلُ، إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ. قَالَ: فَشَأْنَكُمَا وعَرَجَ» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 58]. حيث يشير النائيني في الحاشية إلى مطلب مهمّ، إلا وهو أنّ التخيير بين الثلاثة يبيّن لنا أنّ الحقيقة الإنسانية تقتضي شيئًا واحدًا بالذات، وهو العقل الذي يميّز به بين الشرّ والخير، ويدخل تحته ما يكون مدعاةً للانزجار عن القبائح وهو الحياء، وما يؤدّي إلى الإيمان بمبدئه وهو الدين، وأمّا اقتضاؤها لأمور أخرى فهي بالتبع، وهذه إشارة إلى أنّ ما يأتي خلاف ذلك فهو غير مقصود أوّلًا وبالذات، بل لعدم كمال العقل فيكون ثانيًا وبالتبع» [انظر: النائيني، الحاشية على أصول الكافي، ص 45].

وهذا ما يؤيّده الحديث المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتّى يكون كامل العقل، ولا يكون كامل العقل حتّى تكون فيه عشر خصالٍ: الخير منه مأمولٌ، والشرّ منه مأمونٌ ...» [الطوسي، الأمالي، ص 183].

4- الشرور نتيجة فساد الإنسان

خلق الله تعالى الإنسان والعالم ضمن تقديرات، كلّ منها له دخل في ترتب الأعمال واستتباع المؤثّرات، والإنسان اقتضاء لحكمة الله تعالى جعل له الحرّية والاختيار في اتّخاذ القرارات، وما نراه في أكثر الأمور فسادًا وأكثرها خسارةً على وجه الأرض إنّما هي بفعل الإنسان، والتاريخ أوضح شاهد على ذلك، أمثال الحروب الصليبية والحروب العالمية الأولى والثانية وبعض المجازر التي أوقعها الظلام في بلاد المستضعفين. وهذا له تأثير في امتناع

نـزول الخـيرات وانسـداد أبـواب الـبركات، فمـا نـراه مـن شرور إنّمـا هي مـن أفعـال بعـض الظالمين، وتعكـس النتيجـة على الجميـع.

وكـذا ظهـور المصائـب والحـوادث كالسـيل والزلزلـة والصاعقـة والطوفـان وغـير ذلـك، وقـد عـدّ الله ﷻ سـيل العـرم وطوفـان نـوح وصاعقـة ثمـود وصَرصَر عادٍ مـن هـذا القبيـل، فالأمـة الطالحـة إذا انغمـرت في الرذائـل والسـيّئات أذاقهـا الله وبـال أمرهـا، وآل ذلـك إلى إهلاكهـا وإبادتهـا، قـال تعـالى: ﴿أَوَلَـمْ يَسِـيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُـرُواْ كَيـفَ كَانَ عَاقِبَـةُ الَّذِيـنَ كَانُـواْ مِـن قَبْلِهِـمْ كَانُـواْ هُـمْ أَشَـدَّ مِنْهُـمْ قُـوَّةً وَآثَـارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُـمُ اللهُ بِذُنُوبِهِـمْ وَمَـا كَانَ لَهُـم مِـنَ اللهِ مِـن وَاقٍ﴾ [سورة المؤمن:21]. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 2، ص 181]

5- الشرّ أمر عدمي

مـا ذهـب إليـه كثـير مـن حكمـاء الإسـلام المتأخّريـن أمثـال صـدر المتألّهـين ومطهـري وغيرهما مـن علمـاء الغـرب والمسـيحية، وخلاصتـه أنّ الـشرّ ليـس أمـرًا وجوديًّـا حـتى يقـال: لمـاذا خلـق الله الـشرّ؟ لأنّ الـشرّ في حقيقتـه عـدم الخـير، فالمـرض في الحقيقـة عـدم الصحّـة، والفقـر عـدم الغـنى، والمـوت عـدم الحيـاة .. وهكـذا، وحينئـذٍ تنتـفي الشـبهة مـن الأسـاس، والله تعـالى خلـق الموجـود، وكلّ مـا هـو موجـود فهـو خـير. [الشـيرازي، الحكمـة المتعاليـة في الأسـفار العقليـة الأربعـة، ج 7، ص 58؛ الطباطبـائي، نهايـة الحكمـة، ص 310؛ مطهـري، العـدل الإلهـي، ص 161؛ مصبـاح يـزدي، المنهـج الجديـد في تعليـم الفلسـفة، ج 2، ص 484 فـما بعـد]

كمـا نُقـل عـن أفلاطـون أنّ الـشرّ عـدم، وقـد بـيّن ذلـك بالأمثلـة، فلـو قيـل على سـبيل المثـال إنّ في القتـل بالسـيف شرًّا، نقـول الـشرّ ليـس في قـدرة الضـارب على المبـاشرة بالـضرب، ولا في شـجاعته ولا في قـوّة عضـلات يـده؛ فـإنّ ذلـك كلّـه كمـال له، ليـس مـن الـشرّ في شيءٍ، وليـس هـو في حـدّة السـيف ودقّـة ذبابـه وكونـه قطّـاعًا؛ فـإنّ ذلـك مـن كمـاله وحسـنه، وليـس هـو في انفعـال رقبـة المقتـول عـن الآلـة القطّاعـة؛ فـإنّ مـن كمـاله أن يكـون كذلـك، فـلا يبـقي للـشرّ إلّا زهـاق روح المقتـول وبطـلان حياتـه، وهـو عـدمي، وعلى هـذا سـائر الأمثلـة، فالـشرّ عـدم. [انظر: الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 13، ص 187]

6- نسبية الشرور

أي أنّ مـا يـراه بعضهـم شرًّا فهـو شرٌّ بالنسـبة إليهـم، وخـيرٌ بالنسـبة لنفـس ذلـك الموجـود الذي يسـبّبه، ولا يوجـد شرٌّ مطلـق بحيـث يكـون شرًّا للجميـع، فسـمّ العقـرب شرٌّ بالنسـبة للإنسـان

وخيرٌ بالنسبة إليها، والذئب شرٌّ بالنسبة للخراف، والإنسان شرٌّ بالنسبة للذئب والعقرب، وهكذا، فلا يوجد شرٌّ بالذات حتّى يقال: لماذا خلق الله هذا الشرّ؟!

7- تقديم المصلحة النوعية

كذلك من المسائل التي يمكن اعتبارها حلًّا لمشكلة الشرّ هي تقديم المصلحة النوعية، والمراد منه هذا كما أوضحه بعض العلماء: «أن يقال بأنّ المصالح النوعية راجحة على المصالح الفردية، فلا شكّ أنّ الحياة الإنسانية حياة اجتماعية، فهناك مصالح ومنافع فردية وأخرى نوعية اجتماعية، والعقل الصريح يرجّح المصالح النوعية على المنافع الفردية، وعلى هذا فما يتجلّى من الظواهر الطبيعية لبعض الأفراد في صورة المصيبة والشرّ، في عين الوقت يكون متضمّنًا لمصلحة النوع والاجتماع، فالحكم بأنّ هذه الظواهر شرور تنافي مصلحة الإنسان ينشأ من توجّه الإنسان إليها عن منظار خاص، والتجاهل عن غير نفسه في العالم» [سبحاني، محاضرات في الإلهيات، ص 175].

8- الفوائد الدنيوية والأخروية

يتّجه بعضهم في حلّ مشكلة الشرّ اتّجاهًا عمليًّا وتطبيقيًّا عن طريق تبرير الشرور والمصائب بالتعمّق في نتائجها المفيدة للإنسان، وهي إمّا "فوائد دنيوية" من قبل تفجير الطاقات وتقدّم العلوم ورقيّ الحياة البشرية، فإنّ الإنسان إذا لم يواجه المشاكل في حياته لا تتفتّح طاقاته ولا تنمو، بل نموّها وخروجها من القوّة إلى الفعل رهن وقوع الإنسان في مهبّ المصائب والشدائد؛ ولأجل ذلك نرى أنّ الوالدين اللذين يعمدان إلى إبعاد أولادهما عن الصعوبات والشدائد لا يدفعان إلى المجتمع إلّا أطفالًا يهتزّون لكلّ ريح؛ وإمّا "فوائد أخروية"، فالتمتّع بالمواهب المادّية والاستغراق في الملذّات والشهوات يوجب غفلةً كبرى عن القيم الأخلاقية، وكلّما ازداد الإنسان توغّلًا في اللذائد والنعم ازداد ابتعادًا عن الجوانب المعنوية، فلا بدّ لأجل انتباه الإنسان من هذه الغفلة من هزّة وجرس إنذار يذكّره ويرجعه إلى الطريق الوسطى، وليس هناك ما هو أنفع في هذا المجال من بعض الحوادث التي تقطع نظام الحياة الناعمة بشيء من المزعجات؛ حتّى يدرك عجزه ويتنبّه من نوم الغفلة، أمّا بالنسبة إلى الأولياء والصالحين من عباد الله فإنّ البلايا والمحن هي ألطاف إلهية وشرط لوصولهم إلى المقامات العالية في الآخرة.

[سبحاني، الإلهيات، ص 241]

9- محدودية علم الإنسان

إنّ علم الإنسان المحدود هو الذي يدفعه إلى أنّ يقضي في الحوادث بتلك الأحكام المغلوطة وعدّها من الشرور، ولو وقف على علمه الضئيل، واعترف كما في كبار المفكّرين الذين يسلّمون بجهلهم وعجزهم عن الوقوف على أسرار ما هم متخصّصون به: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [سورة آل عمران: 191]، ولأذعنوا لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 85].

وأوضح شاهد على ذلك القصّة التي نقلها القرآن الكريم عن العبد الصالح الخضر مع نبيّ الله موسى عليه السلام، فرغم كونه نبيًّا إلّا أنّه لم يستطع السكوت جرّاء ما فعله الخضر. [انظر: سورة الكهف: 65 - 82]

وهذا يؤيّد أنّ عدم المعرفة هو الأساس في تحميل هذه الأمور على أنّها شرور.

10- من صنع الإنسان

إنّ الرحمة الإلهيّة وقدرة الله وكونه تعالى لا يريد الشرّ بعباده كلّها من مدركات الوجدان، ولا تحتاج إلى دليل عقلي أو نقلي كما هو الحال في نفس وجود الله وسائر صفاته وأسمائه الحسنى، إنّ الله خلق الكون وجعله يجري وفق قوانين ثابتة كقوانين الجاذبية وقوانين ضغط الماء والأمواج والهواء والوراثة والاستمرارية وانعكاس النور والأمواج الكهرومغناطيسية وما إلى ذلك، ومن خلال توفّر مقوّمات الحياة في الكرة الأرضية من مقادير معيّنة من الهواء والماء والتراب وأشعّة الشمس المناسبة، ظهرت الحياة على الأرض ومنها حياة الإنسان، هذا هو ما نفهمه فقط وفقط عن الله المطلق والخالق لعالم الوجود، وما سوى ذلك فهي تفسيرات وقراءات بشرية عن الغاية من خلق العالم والإنسان وعن الله المطلق أيضًا فيما يتّصف به من صفات الجلال والكمال كالتوحيد والرحمة والعدالة والرزق و... فعندما وجد الإنسان على هذه الأرض شاهد ظواهر الطبيعية كثيرةً، وتحرّك ذهنه في إيجاد تفاسير معقولة لهذه الظواهر، وعلى رأسها العلّة الأولى لخلق هذا العالم والإنسان والغاية من ذلك، فكانت رؤية التوحيد والشرك والثنوية والتثليث وتعدّد الآلهة تمثّل تفاسير وقراءاتٍ لتلك العلّة الأولى، والحال أنّ الواقع والحقيقة المطلقة أو الذات المقدّسة لا يمكن للعقل البشري إدراكها والعلم بها ولا إدراك صفاتها وحالاتها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: 11]، وما نفهمه

عن الذات المقدّسة يمثّل تصوّراتٍ بشريةً ناقصةً وفي حدود ما ينسجم وفهم الإنسان وميوله النفسية وحاجاته الروحية ودرجة تحصيله العلمي وموروثه الاجتماعي وتقاليده العرفية.

فلعلّ أكثر البشر حينما تصوّروا الله تعالى وصفاته تصوّروه بحسب ما هم يريدون ويفهمون، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام: «كُلُّ مَا مَيَّزتُمُوهِ بِأَوْهامِكُم في أَدَقِّ مَعانيهِ، فَهُوَ مَخْلُوقٌ لَكُم وَمَردُودٌ إلَيكُم» [الفيض الكاشاني، الوافي، ج 1، ص 506]، ولعلّ النمل الصغار تتوهّم أنّ لله تعالى زبانيتين! فإنّ ذلك كمالها ويتوهّم أنّ عدمها نقصان لمن لا يتّصف بهما، وهذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به.

الرأي المختار

إنّ النظرة المادّية للعالم أثّرت على الفطرة السليمة التي أوجدها الله تعالى في الإنسان، فجعلته يرى ما ليس علّةً علّةً، وأخذ ما بالعرض مكان ما بالذات، فالفكر السليم المبنيّ على أسس عقلية رصينة بيّنة ومبيّنة يأبى شبهةً كهذه؛ لأنّه بعد التسليم - بأدلّة مبحوثة في محلّها - بوجود خالق حكيم لهذا الكون يستحيل أن يصدر العبث منه، غني بذاته لا يحتاج إلى مخلوقاته، خلق الخلق بنظام دقيق لا يختلجه أي نقص ولا يشوبه أي خدش؛ وكمال كلّ موجود بحسبه، والإنسان بأفعاله الاختيارية يتكامل للوصول إلى ما هُيّئ له من الكمالات.

إذن فلكلّ شيء طبيعته وحقيقته الخاصّة به، فحقيقة النار الإحراق وعدم وصول النار الى كمالها يعتبر شرًّا بالنسبة لها.

فلا يمكن أبدًا التسليم بوجود خللٍ في ألوهيته ولا في صفاته ولا في انعزاله عن العالم ﴿تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾. بل لا بدّ أن تكون النظرة الى العالم متّصلةً وأن يؤخذ فيها بنظر الاعتبار العالم الحقّ واليوم الآخر، وأنّ الدنيا هي دار مؤقّتة تتلوها الحياة الأبدية التي من أجلها خُلق الإنسان، وهذه الدار معتمدة في مقاماتها على الابتلاءات والاختبارات في الحياة الدنيا المؤقّتة، وكلّما حصّل على الإنسان من ظلم في هذه الحياة يعوّض عنه في الآخرة، وأنّ الابتلاءات في الحياة الدنيا تؤثّر إيجابيًّا في المقامات والدرجات في الحياة الآخرة. وهذا ما نجده واضحًا من تفسير الآيات والروايات للشرّ كما تقدّم. فكلّ المعاني التي ذكرت في الآيات والروايات تريد من الشرّ النقائص التي تلحق المؤمن وتمنعه من التكامل كما مرّ، وبهذا تكون خارجةً عن دائرة معنى الشرّ المدّعاة.

وأيضًا لا بدّ أن يلاحظ خلق الإنسان من النفس والبدن والابتلاءات تؤثّر في قوى النفس وتكاملها إيجابيًّا، فالقوى العقلية والمادّية في الإنسان تتأثّر عكسيًّا إحداها مع الآخرى، فالعاقلة تتعاكس مع الشهوية والغضبية، فكلّما قويت إحداهما تسافلت الأخرى.

فوجود خالق حكيم، والدار الباقية التي تبنى من الحياة الدنيا وأصل تركيب الإنسان من الملائكية والجسمانية كلّ هذه الاعتبارات وغيرها مأخوذة في أصل بيان الواقع كما هو، فلا يمكن أخذ بعض الأمور بمعزل عن الأخرى؛ فإنّها ستكون نظرةً ناقصةً للعالم.

فأصل الشبهة إنّما جاءت من النظرة غير الدقيقة والسطحية، إمّا في عدم الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون، أو بوجود خالق ولكن لم تثبت صفاته بشكل برهاني، وهكذا.

وبعض ما يدّعى بأنّها شرور فهذه من الصفات الملازمة لهذا العالم الذي نعيش فيه، والذي هو أفضل العوالم التي يمكن أن توجد؛ وكلّ ما يحصل على المكلّف من خدش أو أذية في هذا العالم يعوض عنه في العالم الآخر. عن عبد الله بن أبي يعفور قال: «شكوت إلى أبي عبد الله عليه السلام ما ألقى من الأوجاع - وكان مسقامًا، فقال لي: يا عبد الله، لو يعلم المؤمن ما له من الأجر في المصائب لتمنّى أنّه قرض بالمقاريض» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 255].

وما دمنا قد اعتقدنا بالدليل القطعي بحكمة الخالق، ولم نحصل على دليل علمي وحسّي قطعي على أنّ بعض الحوادث هي شرٌّ، بل الدليل العلمي - كما أثبتناه في بعض المسائل في التفسير العلمي للشرور - أثبت فيها خيرًا، وخيرها أكثر من شرّها، فلا بدّ لنا من القول بضرس قاطع بأنّ هناك حكمةً من خلق أمور كهذه، وعدم اطّلاع الإنسان على حكمتها ليس دليلًا على شريّتها، فإنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

أمّا هل يستطيع الله أن يخلق عالمًا من دون شرٍّ؟ إنّ الله تعالى - كما ثبت بالنقل - قد خلق عالم الملكوت الذي لا توجد فيه أيّ مظهر من المظاهر التي يعتبرها بعضهم شرًّا، فهو عالم متكامل غير خاضع للمادّة ولوازمها وتضادّها، بل هو عالم العقول.

ولكن ينتفي العقاب والثواب هناك؛ لعدم وجود الشهوات التي هي ملاك الاختبارات، وتترتّب فيها المنازل بحسب المصائب والابتلاءات والقرب من الرضوان الإلهي والفوز بها.

مقتضى عالمنا أن يكون مراحل واختبارات مثل الذي يريد أن يشارك في مسابقة دولية، فيحتاج أن يُكره نفسه على بعض الأمور ويمرّن جسده وإن كان فيه أذية على نفسه، ويسلب

منه راحة النوم وغيرها؛ لأنّ الهدف هو أسمى من هذه التضحيات الجزئية لذلك يقدم عليه، وهذا ديدن العقلاء، كما أنّ بعض ما جعله البشر من هدايا وتحفيز في مباريات أو ألعاب غايتها معرفة الأقوى والأسرع والأذكى، وهي مسألة جرت عليها سيرة الناس من تكريم الكفاءات بالقدرات التي يمتلكونها، فلم يصنعوا آلةً تعمل بذاتها لألعابه كهذه؛ لكونها تفقد حسّ الإبداع والتنافس.

فلماذا حينما يواجه مثيرو هذه الشبهة وأمثالها سيرة كهذه لا يشكلون عليها؛ مع أنّ السبب عينه، فلا بدّ إذن من التشكيك في نواياهم وغاياتهم من وراء هذه الإثارات. فإذا من أراد أن يتّضح له أصل العالم وخلوه من العيب والشرّ فلا بد له من تصفية معتقداته والابتداء من أسس عقلية رصينة مبنيّة على قضايا بيّنة ومبيّنة؛ حتّى يرى الواقع الذي كان يراه بصورة مشوّهة جميلًا وكاملًا.

فنكون بذلك قد أجبنا عن أصل هذه الشبهة بأجوبة علمية ودينية.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

إخوان الصفا، رسائل اخوان الصفاء، مركز النشر: مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، 1405 ه.

ابن سينا، الحسين، إلهيات الشفاء، راجعه وقدّم له الدكتور إبراهيم مدكور، تحقيق الأستاذين: الأب قتواتي وسعيد زايد، الجمهورية العربية المتحدة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1960 م.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، الوفاة 711، الناشر: نشر أدب الحوزة، سنة الطبع محرم 1405.

الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غُرَرُ الحِكم و دُرَرُ الكَلِم، من علماء القرن الخامس الهجري، الوفاة 550، صححه السيد مهدي الرجائي، دار الكتاب الاسلامي قم إيران، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: 1410ه.

الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن، الوفاة 425، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1427، الناشر: طليعة النور، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1407 ه.

الحراني، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، 1404 ه.

الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، الوفاة القرن الرابع الهجري، تحقيق وتصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري، الناشرمؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، سنة الطبع 1404 ه ق.

الداماد، السيد محمد باقر، القبسات، باهتمام دكتور مهدي محقق، ودكتور سيد علي موسوي بهبهاني، وبروفيسور ايزوتو، ودكتور إبراهيم ديباجي، الناشر : مؤسسة انتشارات وطباعة جامعة طهران، تاريخ النشر: 1374ه ش.

الداماد، محمدباقر، التعليقة على أصول الكافي، تحقيق السيد مهدي رجائي، مطبعة الخيام، قم المقدسة، 1403 ه

الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، بمساعدة رضا برنجكار؛ تحقيق مركز بحوث دار الحديث . قم : دار الحديث، الطبعة الثالثة (منقحة ومصححة)، 1386ه ش.

الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1994 م.

السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، تلخيص، الشيخ علي الرباني الگلپايگاني، نشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

السيوري، المقداد، الأنوار الجلالية في شرح الفصول النصيرية، الوفاة 826، الناشرمجمع البحوث الإسلامية ـ مشهد، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1420 ق.

الطباطبائي، محمدحسين، تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الوفاة: 1085، الناشر: مرتضوي، سنة الطبع 1362 ه ش، الطبعة: الثانية.

الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، نشر: دار الثقافة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1414 ه.

العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مؤسسة هنداوي، 2014 م.

العقاد، عباس محمود، عقائد المفكرين، الناشر مؤسسة هنداوي، سنة 2014.

العلوي العاملي، أحمد بن زين العابدين، الحاشية على أصول الكافي، تحقيق: السيد صادق الحسيني الأشكوري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1388 ش.

الفيض الكاشاني، محسن، تحقيق ضياء الدين الحسيني، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة في أصفهان، الطبعة الأولى، 1406 ه.

الفيومي، أحمد بن محمد المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الوفاة 770، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

القمي، علي بن الحسين بن بابويه، الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدسة، الطبعة الأولى، 1404 هـ.

الكاشاني، محمد محسن، الوافي، الناشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في اصفهان. عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلامة» الأصفهاني، الطبعة: الأولى تاريخ النشر: أول شوال المكرم 1406 هـ. ق 65/3/19 هـ. ش.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، المتوفى سنة 328 / 329 هـ مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، نهض بمشروعه: الشيخ محمد الآخوندي، الناشر: دار الكتب الاسلامية، مرتضى آخوندي، طهران، الطبعة الثالثة سنة 1388هـ ش.

المامطيري، علي بن مهدي الطبري، نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، 280 ـ 360 هـ ق تقريبا، تحقيق: العلامة محمد باقر المحمودي، تقديم وتنظيم الفهارس : محمدكاظم المحمودي، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ـ المعاونية الثقافية ـ مركز التحقيقات والدراسات العلمية، الطبعة : الأولى ـ 1430 هـ ق / 2009 م.

المجلسي، محمدباقر، بحار الأنوار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، 1983 م.

الميانجي، محمد باقر الملكي، مناهج البيان في تفسير القرآن، الوفاة 1419، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، مديرية الطباعة والنشر: إيران، طهران، الطبعة الأولى، سنة الطبع 1414 هـ. ق.

النائيني، محمد بن حيدر، الحاشية على أصول الكافي، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1424 هـ.

بدوي، عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، سنة الطبع: 1984م.

صدر الدين محمد الشيرازي (صدر المتألهين)، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، الوفاة 1050 هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة الطبع 1981 م.

عبد الواحد الآمدى التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، الوفاة 550، تحقيق: سيد مهدي رجائي، الناشردار الكتاب الإسلامي قم، الطبعة: الثانية، سنة الطبع 1410 ق.

مجلة الدليل، العدد13، مقالة: مشكلة الشر في اللاهوت المسيحي عرض ومناقشة، جاسم حسن.

مجلة العقيدة، العدد7، السنة: السنة الثالثة ـ ربيع الثاني 1437هـ / 2016م.

مجموعة مؤلفين، شرح المصطلحات الفلسفية، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الطبعة الأولى، سنة 1414هـ.

محمد باقر بن محمد تقي العلامة المجلسي، بحار الأنوار، الوفاة 1111، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشرمؤسسة الوفاء ـ بيروت لبنان، الطبعة الثانية المصححة، سنة الطبع 1403 ـ 1983 م.

محمد باقر بن محمد تقي العلامة المجلسي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الوفاة 1111، تحقيق: رسولي محلاتي هاشم، الناشر: دار الكتب الإسلامية تهران، الطبعة: الثانية، سنة الطبع 1404 ق.

محمد بن مرتضى بن محمود المدعو بالمولى محسن (الفيض الكاشاني)، الوافي، الوفاة 1091، تحقيق وتعليق وتصحيح ومقابلة: ضياء الدين الحسيني الأصفهاني، الناشر: مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة - أصفهان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: أول شوال المكرم 1406 هـ. ق.

محمد تقي مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان، سنة الطبع: 1428 هـ 2007 م.

محمد حسين الطباطبائي، نهاية الحكمة، صححه وعلق عليه: عباس علي الزارعي السبزواري، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الرابعة عشرة المنقحة، سنة الطبع: 1417 هـ.

مرتضى المطهري، العدل الإلهي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الثانية، سنة الطبع: 1436 هـ 2015 م.

Hock, Roger R. (2004). Forty Studies that Changed Psychology : Explorations into the History of Psychological Research (5th Edition). Prentice Hall. ISBN 978-0-13-114729-4.

Leibnitz، Essays of Theodicy on the Goodness of God.

Physical Geology-Exploring the Earth-6th Edition,James S.Monroe, Reed Wicander, Richard Hazlett. ISBN 0-495-01148-7.

Ref(Faith and Reason) Grand Rapids, MI: Zondervan, 1988

Serres MH, Gopal S, Nahum LA, Liang P, Gaasterland T, Riley M (2001)، "A functional update of the Escherichia coli K-12 genome"، Genome Biology، 2 (9): research0035.1-research0035.7، doi:10.1186/gb-2001-2-9-research0035، PMC 56896، PMID 11574054.